نقد كتب

دفاع عن القرآن ضد منتقديه

"المجموعة الإسلامية"

للأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن بدوي(*)

عرض وتعريب

أ. د. عطية القوصي

هذا الكتاب أول كتاب فى مجموعة د. عبد الرحمن بدوى الإسلامية التى صدرت فى باريس باللغة الفرنسية، هي مجموعة التي تتكون من ثلاثة كتب هى:

١- دفاع عن القرآن ضد منتقديه صدر فى باريس ١٩٨٩.

٢- دفاع عن النبى محمد ضد الحاطين من قدره، نشر فى باريس ١٩٩٠.

٣- الإسلام كما ارتآه فولتير وهيردر، وجيبون، وهيجل- تحت الطبع.

والكتاب يقع فى ٢٣١ صفحة من القطع المتوسط وهو يعالج ثلاثة عشر موضوعاً خاصة بالقرآن وهى:

مقدمة:

القرآن، لكونه الأساسى الجوهرى للإسلام، كان هدفاً رئيسياً لهجوم كل من كتب ضده: فى الشرق مثلما فى الغرب، وذلك منذ قبيل النصف الثانى للقرن الأول الهجرى (السابع الميلادى).

ولقد قام يوحنا الدمشقى (حوالى ٦٥٠-٧٥٠م تقريباً) بتوجيه عدة انتقادات على النسق العام للقرآن، كذلك ورد ذلك على لسان إيثوميوس زيجابينوس (١٣٣١-١٣٥٩م).

لكن أول هجوم بإسهاب على القرآن جاء فى مقدمة كتاب نيكيتاس البيزنطى، الذى جاء تحت عنوان: (نقض الأكاذيب الواردة فى كتاب العرب

(*) أستاذ الفلسفة بفرنسا.

المحمديين: (Confutatio falsi libri qucm scrigsit mohamades Arabs).

وفى النصف الثانى للقرن التاسع الميلادى نشب جدل دينى كبير حول الإسلام، مثلما نشب هذا الجدل حول الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية، والكنيسة الكاثوليكية فى روما.

ولقد ورد الجدل الواسع حول القرآن والإسلام عموماً على لسان جان كانتاكوزين، (ولد حوالى عام ١٢٩٢ وتوفى حوالى ١٣٨٠م)، إمبراطور بيزنطة فى كتابيه :

a) Contra sectam Mahometicam Apologiae.

b) Contra Mahometem Orationes quatuor.

حدث هذا فى الشرق، وصدر باللغة اليونانية، وذلك غير الكتابات الهادئة حول هذا الموضوع التى ظهرت آنذاك وكتبت بالسريانية، والأرمنية، والعربية.

وبسقوط القسطنطينية فى يد المسلمين سنة ١٤٥٣، توقف كل الجدل البيزنطى حول الإسلام، ومن ثم تولت أوربا المسيحية الأمر بعد ذلك، فبدأ الكاردينال نيقولا دى كوسا (١٤٠١-١٤٦٤) المسيرة الجديدة، وكان البابا بيوس الثانى قد دعاه إلى أن يكتب تنديداً بالإسلام.

فكتب نيقولا رسالة هجوم للإسلام بعنوان: (غربلة القرآن: Cribratia al chorani، وتتألف من ثلاثة كتب: فى الكتاب الأول؛ حاول أن يبين حقيقة الإنجيل، استناداً على ما ورد بصدده من نصوص فى القرآن، وفى الثانى؛ شرح العقيدة الكاثوليكية، وفى الثالث؛ عرض لنصوص معينة متناقضة فى القرآن. وقد نشرت هذه الكتب فى بال بسويسرا سنة ١٥٤٣.

ولقد نشر جدل حول الإسلام، كتبه عدد من الآباء والدومينيكان والجزويت، على التوالى:

- دينيس الأمين Denys le chartreux (ت ١٤٧١): (حول الخداع المحمدى) و "contra perfidiam Mahometi" كولون ١٥٣٣.
- الفونس سبنينا (ت ١٤٩١) Alphonse Spina "Fortalitium fidei" ليم ١٥٢٥.
- جان دى تيريكريماتا Jean de Turrecremata (ت ١٤٦٨): "Tractatus contra Principales perfidi Mahometis, Paris, Roma, 1606".
- لويس فيف Luis Vives (ت ١٥٤٠) "De veritate fidei christianae contra Mahomedanos, Bale, 1543.

- ميشيل نان Michel Nan (ت ١٦٨٣) "Ecclesiae romanae graecae vera effigies et consensus, et religio christiana contra Al coranum ex Al corano de fensa et probata, Paris, 1680.

ولقد ثار جدل هذه الكتب حول الإسلام عموماً، ولم يتعرضوا للقرآن إلا عرضاً، ولكننا نجد فى أواخر القرن السابع عشر، أول دراسة موجهة ضد القرآن، وقد جاءت فى كتاب: "Al corani textus universus".

(بادوفا، ١٦٩٨) فى جزئين مجتمعين، وجاء الجزء الأول تحت عنوان: "Prodromus ad refutationem Al corani".

(وقد نشر منفصلاً سنة ١٦٩١ فى أربعة أجزاء) حيث يتعرض فيه لوديفيكو ماراشى (مرعشى) Lodovico Marracci (١٦١٢- ١٧٠٠) لحياة محمد من خلال المصادر العربية.

والجزء الثانى؛ يتناول النصوص العربية للقرآن، مع ترجمة لاتينية، مع تعليق وشرح لأوجه الغموض ونقضه، ويعرف مرعشى العربية والسريانية والعبرية، ولقد كتب نالينو (C. A. Nalino) دراسة فى كتاب مرعشى:

"Les sources arabes manuscxrites de l'oeuvre de Lodovico Marracci sur le Coran".

ومن الممكن القول أن دراسة مرعشى عن القرآن تعد منطلق الدراسة الجادة فى أوربا عن القرآن، والكتاب مملوء بالأخطاء الخطيرة والمجادلات الساذجة غير ذات القيمة، ونفس هذه الأخطاء نجدها تتكرر بدرجات متفاوتة فى كل الدراسات المتصلة بالقرآن، والتى قام بها المستشرقون الأوربيون خلال القرنين التاليين لظهور كتاب مرعشى، كما سنبين ذلك فى كتابنا هذا.

حقاً، فإنه ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر يبذل هؤلاء الكتاب كل ما فى وسعهم ليكونوا موضوعيين، وأكثر دلالة، وأكثر اهتماماً بالتدقيق الموضوعى للمنهج اللغوى، لكن دون فائدة؛ ذلك لأن الدوافع الداخلية والأوهام ظلت عندهم كما هى.

ما أريد أن أقوله: هو أن هؤلاء الكتاب قد توفرت لهم أدوات فهم اللغات منذ بداية منتصف القرن الأخير حتى يومنا هذا، إضافة إلى توافر نشر نصوص المخطوطات، إلا أنهم مصرون على اختراع النظريات المجانية خلال تصوراتهم الزائفة للمشاكل الذاتية التى

وضعوها بخصوص القرآن، وزيف النتائج التى توصلوا إليها، ومن أجل هذا سنفضح هذه الجرأة الجهولة عند هؤلاء المستشرقين حول القرآن فى كتابنا هذا.

وبكل تأكيد، فإن المسائل القرآنية المثارة، ليس لجميعها حل، وربما سيظل بعضها كذلك على الدوام، وتفتح بذلك باب البحث اللاحق أكثر عمقاً أو أقل مواجهة تحت زوايا أخرى.

١- معرفة هؤلاء المستشرقين باللغة العربية أيضاً معرفة حرفية أكثر منها اصطلاحية، لا تحقق كثيراً مما يرغبون، وهى تمثل مشكلة لهم جميعاً.

٢- معلوماتهم عن المصادر العربية ناقصة وضحلة وغير كافية، ودون البدء فى التحرى قبل أى شئ بين تقارب هذه المصادر وبين الموضوعات التى تحتوى على نفس المسائل التى يقومون ببحثها فإنهم سيظلون غارقين فى تلك النظريات الكاذبة التى تصورها سابقوهم.

٣- إن الحقد المتأجج والموروث الذى رضعوه جميعهم ضد الإسلام، قد أعمى بصائرهم تماماً، قليلاً أم كثيراً، وينطبق ذلك على كل من هـ. هرتشفيلد H. Hirschfld، وج هوروفيتز J. Horovitz، وهـ. سبير H. Speyer.

٤- تتشابه الأكاذيب والأقوال المنتحلة عند كل من: جولدزيهر، نولدكة، مارجليوث.

٥- إن أمر رسالة محمد وردت بتخيلها فى ضيق شديد، وينطبق ذلك على وليام ميور و.س.م. زويمر Zwemer.

ونحن لا نعالج فى كتابنا هذا كل القضايا التى بحثها المستشرقون عن القرآن، ولكنا سوف نتعرض لأكثرها أهمية متقيدين بفترة زمنية تنحصر ما بين نصف القرن ١٩ حتى منتصف قرننا العشرين.

ومنهجنا فى بحثنا هذا هو المنهج الوثائقى والموضوعى الواضح، وهدفنا كشف القناع عن العلماء الكاذبين الذين أعطوا البديل لشعب أوربا ولغيره من الشعوب،و من أجل ذلك، فى نفس الوقت،و سيحرز القرآن النصر على منتقديه.

عبد الرحمن بدوى
باريس ١٩٨٨

(١)
ما هو مفهوم لفظة "أمي" المتعلقة بالنبى محمد؟

من الكلمات الشديدة التناقض فى الشرح والتفسير، من الاصطلاحات

القرآنية كلمة "أُمي"، وخاصة حين تتعلق بالنبى محمد.

حقيقة أن هذا اللفظ ورد فى القرآن فيما يتعلق بـ:

أ- وصف النبى محمد من الآيات

١- ﴿الذين يتبعون الرسول النبى الأُمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾.

[سورة الأعراف: آية ١٥٧].

٢- ﴿قل يا أيها الناس إنى رسول اللَّه إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا باللَّه ورسوله النبى الأُمى الذى يؤمن باللَّه وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾.[الأعراف: ١٥٨].

ب- فى وصف الأمم من الآيات [سورة الجمعة: ٢]:

١- ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾.

٢- ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى للَّه ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ واللَّه بصير بالعباد﴾.

[آل عمران: ١٩].

٣- ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائمًا ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على اللَّه الكذب وهم يعلمون﴾.

[آل عمران: ٧٥].

٤- ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانىَّ وإن هم إلا يظنون﴾.

[البقرة: ٧٨].

أ- التفسير الأكثر استحساناً وقبولاً عند المفسرين للقرآن واللغويين، ذلك الذى أوجزه لسان العرب، وهو: "محمد رسول اللَّه... الموصوف بالأمى؛ لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولم تقرأ ما قد كُتِبَ، ولقد أرسله اللَّه رسولاً لا يكتب ولم يقرأ كتاباً قط. وهذه إحدى معجزاته.

وبما أنه قرأ لهم كتاب اللَّه المنزل والآيات التى أوحى إليه بها، دون تغييرها ودون تبديل الكلمات، وكان خطباء العرب قد اعتادوا إضافة أو

إبطال الكلام الذى سبق أن ارتجلوه سلفاً حين يقوموا بإعادته وتكراره، ولقد تولى الله حفظ كتابه على يد نبيه الذى كان يؤمى إليه. ولقد خص نبيه الذى أرسله بهذه المعجزة؛ ولأجل ذلك نزل قوله تعالى: **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾** [العنكبوت: ٤٨].

١- ولقد نصت هذه الآية على أن محمداً لم يكن يقرأ ولا يكتب.

٢- أما عن كلمة أميين والمقصود بها الأمة، أمة العرب ولسان العرب يؤكد على أن العرب كانوا أميين، وكانت القراءة والكتابة نادرة بينهم، ويورد فى هذا الصدد حديث الرسول الذى يقول:

"إنما بعثت إلى أمة أمية"

٣- ويورد اللسان بصدد كلمة أمى تفسير أبى إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، وهو يقول: إن الأمى هو الذى وُلِد على خلقة الأم، ولد على الفطرة، فهو لذلك لم يكتب؛ لأن الكتابة صفة مكتسبة، فهو بذلك على الفطرة التى ولد بها، وبذلك من الممكن أن تنتسب كلمة أمى إلى الأم.

نحن الآن أمام صفتين لأمى:

- أمى من أمة
- وأمى من أم

وعند القول أمى فيما يتصل بالنبى وبأنه فرد من الأمة، والمقصود بها أمة العرب، قول لا يلقى الاستحسان عند بعض المفسرين بحجة أن الكتابة كانت نادرة الوجود عند العرب، ولكن من ناحية أخرى، كانت كذلك أمم كثيرة على هذا الحال، فلماذا ينسحب هذا القول على أمة العرب، ولا ينسحب على غيرهم من الأمم؟

اعتراض آخر، على القول بأن أمى منسوبة إلى أمة العرب فإن الآيات التى أوردت كلمة أمى، على الأمم قُصد بها أُمم كثيرة، وعلى الأخص أمم اليهود والنصارى، أهل الكتاب.

رأى المستشرقين

لنرى رأى المستشرقين الأوربين حول كلمة أمى وأميين.

أ- من أوائل الذين تعرضوا لهذه المسألة سبرنجر A. Sprenger، فى كتابه: حياة وعقيدة محمد "Dos leben and die lehre des Mohammad (Berlim 1861).

فى ثلاثة أماكن: ١- جـ١، ص ٣٠١.

"قبل ظهور محمد كانت الجزيرة العربية مقسمة بين أهل الكتاب والأميين، ويتكون الأول من اليهود والنصارى والصابئين، وهى الجماعات

التى كانت لها كتاب، بينما لم يكن عند الآخرين كتاب".

٢- جـ٢، ص ٢٢٤، حاشية ١ أمى = وثنى.

٣- جـ٢، ص ٤٠١-٤٠٢: "يبدو أن أمى كانت صفة للشخص الذى لا يعرف القراءة تماماً ولا الكتابة، وهذا الرأى إستند إلى مفهوم خاطئ ولإحدى آيات القرآن التى تقول: ﴿**ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند اللّه ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم فويل لهم مما يكسبون**﴾. [البقرة: ٧٨-٧٩].

فالأميون المقصدون هنا ليسوا بأهل الكتاب، ولكن هم، كما يقول الفراء: الأميون هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب.

ولنا ملاحظات على ادعاءات سبرنجر الثلاث:

أ- الادعاء الأول؛ لا يؤخذ به؛ لأنه لا يستند على مصدر واحد، وإلا فإن المشكلة برمتها تكون قد حُلّت، إذا نحن عثرنا على نص واحد يرجع لما قبل الإسلام يشير إشارة واحدة إلى أهل الكتاب والأميين، فسوف لا تكون هنالك أية مشكلة، وسبرنجر سقط بذلك فى حلقة مفرغة.

ب- قوله: إن "أمى" تقابل وثنى، هى افتراضات سوف يرددها كل من: فنسنك، هوروفيتز، بلاشير، رودى بارى، وآخرون.

جـ- والادعاء الثالث؛ يستند على رأى أولئك الذين يفسرون كلمة "أمى" على أنها تنطبق على "أولئك الذين لا يعرفون الكتابة ولا القراءة على الإطلاق. هذا الرأى يرجع إلى إمام الشيعة جعفر الصادق"

كذلك يناقش د. بدوى رأى كل من فنسنك وهورفيتز بصدد هذا الموضوع، ويقول: إن فنسنك يؤكد فى مقال له نشره فى مجلة Acta Oriental أن لفظة أمى تطلق على صاحبها من غير أهل الكتاب. وكان سبرنجر قد ذكر هذا الرأى من قبله بخمسين عاماً. وهى مشتقة من كلمة أمى التى تعنى أمة العرب.

وهورفيتز عالم مغرض ونواياه سيئة ضد الإسلام، يدعى أن أمى تطلق على الوثنيين المعارضين لشعب بنى إسرائيل.

ويقول فرانز بهل: إن "أمى" مأخوذة من أمة. ويقول بهل: إن محمداً كان يعرف القراءة والكتابة، وأنه حين اشتغل بالتجارة، كتب اليهود والنصارى

لم تكن مفهومة له، والتى كان له أن يستلهم منها المعرفة، كما أشار القرآن إلى ذلك أكثر من مرة، والرأى عند بهل أن محمداً كان يعرف القراءة والكتابة، ولكنه لم يقرأ الإنجيل مباشرة.

وبذلك يصبح رأى بهل سخيف وغير معقول، مثل رأى فنسنك وهوروفيتز.

وباستعراضنا للأقوال المختلفة للمستشرقين بصدد تفسير كلمة "أمى" وهى الصفة التى علقت بالنبى محمد، نستطيع القول أن هذه الكلمة هى صفة منسوبة إلى "الأمم" ومفردها أمة، أى وصفه "أمى" أى نبى مرسل لكل الأمم، كل أمم العالم، فالنبى الأمى هو النبى المرسل لكل الأمم، أى رسول لكل العالم.

أما كلمة أميين الواردة فى القرآن فى أربعة مواضع [البقرة: ٧٨، آل عمران: ٢٠، ٧٥، الجمعة: ٢] فهى تعنى مختلف الأمم أو مجموع الأمم.

وبذلك ننتهى فى هذا الموضوع إلى أن كلمة أمى التى وصف بها محمد تعنى العالمى، المرسل لكل أمم العالم وكلمة أميين يقصد بها مجموع الأمم، أى كل العالم.

التشابه المكذوب بين القرآن والإنجيل:

خلال عدة قرون بحث فى القرآن عن وجود أى أصول من الإنجيل عند النصارى والتلمود عن اليهود. وقد أخذت هذه الأبحاث حول هذا الموضوع الطابع العلمى بداية من القرن التاسع عشر، وألفت فيه كتب ودراسات كثيرة، ومن الممكن تقسيم هذه الدراسات إلى صنفين:

١- كتب أو دراسات نزعتها يهودية أو هى يهودية.

٢- كتب أو دراسات نزعتها مسيحية أو هى مسيحية.

ويدخل ضمن المجموعة الأولى كتب ودراسات:

أبراهام جيجر Abraham Geiger، وهـ. هيرشفيلد، ود. سدريسكى، ود. سبرنجر، وجوزيف هورفيتنى، وتورأندريه.

١- وبدراسة كتب هؤلاء المؤلفين تجدهم يؤكدون بأن محمداً المظنون بأنه ألف القرآن، قد اقتبس أغلب روايات، وعدداً كبيراً من الصور الأدبية، والحكم والجمل من الكتب المقدسة أو الكتب شبه المقدسة اليهودية والمسيحية.

وإذا كانت هذه المزاعم صحيحة، فإن النبى محمد يصبح فى نظرهم:

عبرانياً وسريانياً ويونانياً، وكذلك تكون لديه مكتبة ضخمة تحتوى على الكم الأدبى الهائل من التلمود، وبشارات الإنجيل، وكتب الآباء المختلفة، وقرارات المجامع المسكونية وكتب الآباء الروم وكتب سائر الكنائس والطوائف المسيحية.

والحالة هذه، مع كل هذه التأكيدات الفاصلة لهؤلاء المؤلفين، لنا أن نتناول هل هى تأكيدات مقبولة؟

إن حياة محمد قبل البعثة وبعدها حياة معروفة لا غموض فيها، على الأقل فى شكلها الظاهرى. ولا أحد من معاصريه أو اللاحقين أكد على الإطلاق أن محمداً كانت لديه مكتبة ما، وأنه كان يعرف لغة غير اللغة العربية.

فمن أين له أن يغترف من هذه المصادر كما يزعم المدَّعون؟

وفى كل مرة يجد فيها هؤلاء الكتاب كلمة أو كلمتين متشابهتين فى القرآن وفى الإنجيل يقولون: إن النصين متشابهان ومن أصل واحد. ولقد حاول هؤلاء إيراد بعض الآيات القرآنية وإيراد مقابلها فى التوراة والإنجيل.

ويأتى د. بدوى بمقارنات غير صحيحة أوردها كل من:

هيرشفيلد (١٨٥٤- ١٩٣٤)، وكليرمونت جانو C. Ganncau وجوزيف هوروفيتز (١٨٧٤-١٩٣١).

وفى الفصل الثالث، يشرح د. بدوى معنى كلمة "فرقان" ويورد رأى المستشرقين بها، ويقوم بالرد عليهم، وينفى زعمهم من أنها كلمة ذات أصل يهودى مسيحى. وينتهى إلى أنها كلمة عربية، وهى مصدر لفعل (فرق)، وقد أطلقت على القرآن الذى فرق بين الحق والباطل. ولقد ورد هذا الاسم فى ست آيات قرآنية كالآتى:

١- فى [سورة البقرة ٥٣، الأنبياء: ٤٨] فى قوله تعالى:

﴿وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون﴾.

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين﴾.

٢- فى [سورة آل عمران: ٤، وسورة الفرقان: ١]:

﴿من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾.

﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾.

٣- فى [سورة البقرة: ١٨٥، وسورة الأنفال: ٤١]:

﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾.

﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾.

جعل د. عبد الرحمن بدوى الفصل الرابع من كتابه بعنوان:

"مزاعم مارجليوث المفرطة"

داود صموييل مرجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠)، اسم ثلاثى يهودى صرف ينحدر من أسرة إسرائيلية: وتنطق مارجليوث، مارجليوث فى العبرية الدارجة (مرجالت)، وفيما بين قرون هذه العائلة الكثيرة نرصد اسم يعقوب فون رينسبورج (ت ما بين ١٤٩٩ و١٥١٢، تربى رينسبورج فى ألمانيا، ومن أبنائه: صموييل، رئيس المجتمع اليهودى فى بولونيا.

ولد داود صمويل مارجليوث سنة ١٨٥٨، وكان الابن البكر لخرقيال مرجليوث، الذى اعتنق المسيحية وصار مبشراً مسيحياً. واعتنق داود المسيحية مثل والده، وصار قسيساً مسيحياً فى سنة ١٨٩٩، ولكنه ظل يهودياً قلباً وروحاً. وقد شغل أيضاً بالدراسات اليهودية. ومن بين دراساته اليهودية، يجب أن نلحظ الكتب التالية:

1- Commentary on the Book of Daniel by Jephet ibn Ali edited and translated by: D. S. Margoliouth, 1899.

(شرح كتاب دانيال، لمؤلفه يافق بن على، نشر وترجمة مارجليوث، ١٨٩٩) .

2- The Place of Eaclesiasticus in Semitic Literature, 1890.

(مكانة الاكليريكية فى الأدب السامى، ١٨٩٠).

3- The Origin of the "Hebrew original" of Ecclesiasticus, 1899.

أصل "الأصل العبرى" للاكليروس، ١٨٩٩).

4- Relations between Arabs and Jsraclites prior to the rise of Islam, Schweich lectur, 1921, Published 1924.

(العلاقات بين العرب والإسرائيليين قبل ظهور الإسلام، ١٩٢٤).

ولقد جند داود صموييل مرجليوث نفسه طوال حياته، عدوًّا عنيداً ضد الإسلام. وقد دفعه تعصبه العنيف إلى إصدار المزاعم شديدة التجاوز لمهاجمة النبى محمد والحط من قدر بعثته.

ولنكشف هنا عن بعض هذه المزاعم التى رفض قبولها سائر المستشرقين:

١- الأصل اللغوى لكلمة: مسلم

أول هذه المزاعم الجائرة تلك التى تتصل بأصل كلمة مسلم، ويقول: إنه لفظ أطلق فى عهد سابق للنبى، وهو أطلق على مسيلمة، الذى وصفته

المصادر الإسلامية بالكذاب، ولقد نشر مارجليوث هذا الرأى الغريب، فى مقال له نشر فى (JRAS).

"Journal of the Royal Asiatic Society, London, pp. 467 sqq.

وعلى الفور، لطمه تشارلز ج. ليك، فى نفس المجلة، ١٩٠٣، هو ٧٧١ وما بعدها، لطمة قوية برفض لاذع، لن يفيق منها أبداً، وجعلته لا يعاود الحديث عنها مرة ثانية فى مؤلفاته اللاحقة.

وإنى أسأل مارجليوث، كيف يقع فى مثل هذا الخطأ وهو قد وصل إلى سن الخامسة والأربعين؟ ألم يقرأ القرآن أبدًا، ولا السيرة، ولا كتاب واحد من كتب تاريخ الإسلام؟ كيف يشتق اسم الفاعل (مسلم) من اسم مسيلمة؟ إذا كانت عنده أقل المعلومات عن العربية فإنه كان سوف يعرف أن النسبة إلى مسيلمة هى مسيلمى، لا مسلم، ولعل تعصبه قد أدى بالفعل إلى عماء بصيرته.

٢- كلمة فرقان وكلمة بيركى أبوت Pirke Abbot.

ولقد ذهب مارجليوث إلى إرجاع أصل كلمة فرقان، كما فعل من قبله هرشفيلد من أنها تقابل كلمة: بيركى آبوت، التى تعنى مجمعاً للربانية اليهود.

٣- بصدد اسم إبراهيم.

وفى مقاله عن محمد، فى دائرة المعارف الدينية والأخلاقية (جـ ٨، طبعة ريدنبرج ١٩١٥، ص ٨٧١- ٨٨٠) حيث تطوع مرجليوث بمزاعم كثيرة دون توثيق تاريخى فى حديثه عن لفظ إبراهيم.

أ- لقد ادعى أنه من المحتمل أن اسم إبراهيم لم يعرف نهائياً فى مكة قبل أن يعرف به محمد، وقال عن "أهل العلم" أنهم اليهود والنصارى فيما يتصل بالعلاقة بين إبراهيم وقبائل شمال الجزيرة العربية، لكن، بما أنه كان يوجد يهود ونصارى فى مكة قبل الإسلام، كما أقر بذلك مرجليوث، فكيف إذن لم يعرف هؤلاء اليهود والنصارى بوجود اسم إبراهيم فى مكة قبل ظهور محمد؛ ولماذا انتظروا الإعلان عن وجود هذا الاسم فى مكة حتى أعلن محمد عنه؟

أظن أن سخافة رأى مارجليوث واضحة للعيان.

ب- ادعى مرجليوث أيضاً، أنه من المحتمل أن تكون ملة إبراهيم قد ظهرت فى حران على يد الصابئة، ولذلك يواصل قوله: "يبدو أن الحرانيين كانوا يسمون الأحناف، من قبل جيرانهم المسيحيين، وربما كانت تلك التسمية هى أصل التسمية التى وردت فى القرآن

بصدد اتباع ملة إبراهيم، وهي كلمة مرادفة لكلمة مسلم.

هذان زعمان كاذبان تماماً: زعم أن ملة إبراهيم نشأت في حران، وزعم أن المسيحيين أطلقوا على الحرانيين لقب الأحناف. ومارجليوث افترض هذين الزعمين دون الاستناد إلى مصدر واحد، فضلاً عن ذلك، فليس هنالك أي مصدر قد وافق على أي من الزعمين اللذين اخترعهما خيال مارجليوث المختل.

٤- صلاة المسلمين وقت الحرب، وتاريخ إقرار فاتحة الكتاب:

ولقد كان هزليًّا حين ادعى بأن: "طقوس صلاة المسلمين، قد تقيدت بطقوس حربية، وأنه لم يكن المسلمون بحاجة لإقامتها لولا أن أقامها المقاتلون وقت الحرب" ويقول مرجليوث أيضًا: إن فاتحة الكتاب الركن الرئيسي في كل ركعة من ركعات الصلاة جاءت لاحقة بالهجرة؛ لأن محمداً لم يَقُد جيشاً قبل هجرته إلى المدينة".

وهذا القول قول صبياني وسخيف: صبياني في قوله: إن الصلاة فرضت على المسلمين كعمل عسكري، وسخيف في قوله: بأن الفاتحة سورة مدنية، وأنها لم تقرر قبل الهجرة، وأن محمداً وأتباعه لم يؤدوا الصلاة في مكة قبل الهجرة. مع أنه من المؤكد في كتب الحديث الصحاح (البخاري، الترمذي، النسائي، ابن ماجه) أن محمداً وأتباعه كانوا يؤدون الصلاة في مكة، وأن فاتحة الكتاب كانت تقرأ في كل ركعة منها. ولذلك قال الديار بكري والسيوطي: إن الفاتحة هي أقدم السور القرآنية، وهي أم الكتاب.

٥- المحرم من الطعام:

يدعي مارجليوث بأن محمداً حرم على المسلمين من الطعام ما حرم على اليهود، وقد ثبت عدم صحة هذا الأمر.

جولدزيهر Ignaz Goldziher وتشابهاته الخاطئة بين الإسلام واليهودية

كتب إيجناز جولدزيهر مقالة حول الإسلام في: دائرة المعارف اليهودية (جـ ٦، ص ٦٥١-٦٥٩)، نيويورك ولندن ١٩٠٤)، حيث بحث فيها على الأخص عن أصل اليهودية من مختلف التصورات وخاصة التشريع الإسلامي. وهذا ملخص لرواياته حول هذا الموضوع.

١- إله إسرائيل وإله الإسلام:

يفترض جولدزيهر، قبل كل شيء، أن الفهم الوثني لطبيعة اللّه، والذي عارضه محمد عند عرب الجاهلية، يتوافق في جوهره مع ذلك الفهم الوارد في العهد القديم.

أ- إلا أن ذلك الزعم زعم خاطئ؛ لأن إله العهد القديم خصص على أنه إله بنى إسرائيل، وعلى النقيض فإن إله الإسلام هو "رب العالمين"، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، والذى لا يميز بين أحد من عباده ولم يخص شعباً معيناً بسيادته له.

ب- رب إسرائيل هو الأب، ولكن رب الإسلام، لم يلد ولم يولد [سورة الإخلاص].

ومن أجل ذلك فإن بيانيتش Baentsch، له الحق حين قال: إن الديانة اليهودية ديانة قومية، وأن الديانة الإسلامية ديانة عالمية.

٢- الصوم عند اليهود والصوم عند المسلمين:

يدعى جولدزيهر، ومن بعده يدعى فنسنك، بأن محمداً أخذ الصوم عن اليهود، ونرد عليه فى ذلك أن رأيه قد جانبه الصواب لما يأتى:

أ- الصوم عند اليهود خضع لظروف خاصة خلال تاريخ اليهود، وانحصر فى يوم واحد، وأن هذا اليوم قد حدد بأمر النبى موسى وهو يوم الغفران، وبعد السبى البابلى قررت بعض أيام أخرى للصوم على شعب بنى إسرائيل من قبل أحبارهم: صيام اليوم الرابع من شهر تموز (يوليو)، والخامس من شهر آب (أغسطس)، والسابع من شهر تشرين (يناير)، والعاشر من شهر شباط (فبراير).

والصوم عند اليهود يبدأ عند طلوع الشمس وينتهى عند ظهور أول نجوم فى السماء، ماعدا صوم يوم الغفران والتاسع من آب، الذى يمتد من الليل إلى الليل، وخلال الصوم يمنع نهائياً الطعام والشراب.

ومن الواضح أن هذا الصوم اليهودى لا يتماثل على الإطلاق مع صوم المسلمين:

أ- فالمسلمون يصومون شهراً محدداً بأكمله هو شهر رمضان من كل عام، ولا يصومون يوماً واحداً أو يوماً بليلة كما هو الصوم عند اليهود.

ب- لم يخضع الصوم عند المسلمين لظروف أحداث سياسية كما حدث عند اليهود، ولكن الصوم فرض على المسلمين كركن أساسى من أركان الإسلام الخمسة- وعند اليهود الصوم اختيارى بعكس ما عند المسلمين من أنه إجبارى.

والصوم كواجب دينى، نجده قائماً فى الديانات السابقة لليهودية: فى المجتمعات البدائية وعند قدماء المصريين وعند البابليين:

فالصوم عرفته البشرية قبل أن تولد البشرية، فكيف لجولدزيهر الادعاء بأن محمداً أخذ الصوم عن اليهودية ولم تكن اليهودية أول الأديان التى أدت فريضة الصوم".

ولكن جولدزيهر نجده دائم الانحياز لبنى جلدته من اليهود، وتراوده نفس الوساوس التى تراود نظراءه اليهود فى كل مكان، ولقد ظهرت قلة أدبه وعدم صدقه حين وضع كلمة عبرية بين قوسين بعد اللفظ العربى، فذكر أنه الصيام هو (السيام) يعنى المنتسب للساميين، حتى يؤكد بأن لفظة صيام العربية هى فى الأصل كلمة عبرية!.

٣- القبلة:

يدعى جولدزيهر أن محمداً اتخذ قبلته أولاً نحو بيت المقدس لكسب ود اليهود وكان ينتظر منهم أن يعترفوا به آخر الأنبياء كما هو مثبت لديهم فى كتابهم الآن "كان بالمدينة مجتمع كبير من اليهود" فلما لم يوافقوه على ذلك قام بتغيير اتجاه قبلته إلى الكعبة فى مكة.

ولقد شاع هذا الرأى بين المستشرقين (وقال به: فييل، موير، جريم، كايتانى، بهل)، وقد نقض هؤلاء الأساس القوى فى دعواهم، ونورد ملاحظاتنا بصدد هذا الموضوع، وهى كالتالى:

أ- لم يقل أحد بعلم مؤكد كيف كانت القبلة فى مكة قبل الهجرة:

ففى هذا الأمر يوجد ثلاثة آراء:

١- قال الطبرى فى تفسيره وكذلك البيضاوى: إن القبلة كانت تجاه الكعبة.

٢- وقال الطبرى أيضاً فى تفسيره فى مكان آخر وفى تاريخه، كما قال البلاذرى فى (فتوح البلدان): إن القبلة كانت تجاه بيت المقدس.

٣- وقال ابن هشام: إن محمداً، قبل الهجرة صلى إلى اليمين من الكعبة على خط طولى فى اتجاه بيت المقدس.

ولقد اختار سبرنجر وفنسنك الرأى الثانى وقالوا: إن القبلة قبل الهجرة كانت تجاه بيت المقدس. وافترضوا كذباً أن محمداً اتخذ بيت المقدس قبلة لإرضاء اليهود مع أنه فى مكة لم يكن بحاجة لرضاء اليهود عليه، أما فى المدينة فقد كان له الاحتكاك الفعلى معهم.

ولنا أن نقول بصدد هذا الرأى الثانى ما يأتى:

أ- إن محمداً غير اتجاه القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة، أو فى شهر شعبان من السنة نفسها على حسب أقوال أخرى. والآية القرآنية التى نزلت بهذا الخصوص [البقرة: ١٤٢] وما بعدها. لا تتحدث عن القبلة القديمة، وهى تقول

بساطة: ﴿**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها. قل للّه المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾... ﴿**وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى اللّه...**﴾.

﴿**قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما اللّه بغافل عما يعملون**﴾...﴿**ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين**﴾... ﴿**ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما اللّه بغافل عما تعملون، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره**﴾.

ب- من ناحية أخرى، كانت الكعبة بالنسبة لمكة قبل الهجرة، معبدا للعرب المشركين، وكانوا يتوجهون إليها ويطوفون حولها حتى مع ظهور الإسلام. ولقد احترم الدين الجديد قبلة الآباء وحفظ لها حرمتها ومكانتها، وبالتالى حفظ التوجه نحوها.

هـ- ولما كان الإسلام هو ملة إبراهيم الذى بنى الكعبة، فكان من الطبيعى أن يتجه المسلمون فى صلاتهم نحوها.

٤- الشريعة الإسلامية والتشريع اليهودى:

أخيراً، نجد جولدزيهر فى نفس مقاله فى دائرة المعارف اليهودية (جـ٦، ص ٦٥٦ وما بعدها) يتحدث عن تأثير التشريع اليهودى على التشريع الإسلامى، فيما يتصل بـ: كيفية ذبح البهائم المخصصة للطعام، وكيفية تغسيل الموتى قبل دفنهم.

لكن عادة تغسيل الموتى قبل دفنهم عادة قديمة كانت عند الأقوام البدائيين، وهى طقوس بالقطع لم يبتدعها اليهود. أما عن ذبح الحيوانات التى تؤكل، فهو أمر معقد للغاية عند اليهود، وبسيط للغاية عند المسملين، فلقد اشترط اليهود شروطاً قاسية فيمن يتولى عملية الذبح، مثل ألا يكون قد سبق إدانته فى تهمة، ولا يكون مخالفاً للشرع ولا يكون قد نقض آداب يوم السبت وغيرها من

القيود، أما فى الإسلام فأى شخص له أن يذبح على أن يكبر ويذكر اسم اللّه عند الذبح مع مراعاة شحذ النصل رفقاً بالحيوان المذبوح وسرعة الذبح حتى يقل تألم الحيوان.

ومن مقارنة ما ورد بصدد هذين الأمرين فى التشريعيين الإسلامى واليهودى لا نرى هنالك أى تطابق كما يدعى جولدزيهر.

ولقد ذكر جولدزيهر دون أن يستند إلى أى مصدر، أن السيدة عائشة زوج النبى (ص) قد اعتادت اتخاذ عادة (الذهاب إلى القبر) "وأنها أخذت هذه العادة من النساء اليهوديات (هيبوت هاكبر) وأن محمداً أدخلها فى تعاليمه".

من أين جاء بهذا القول؟ لم يجب عن ذلك جولدزيهر، ونحن نقول بدورنا: إنه لم يرد فى القرآن أى قول عن زيارة القبور.

ولقد حاول جولدزيهر التعميم بالقول بأن التشريع الإسلامى استقى معظم قوانينه وأحكامه عن الشريعتين اليهودية والمسيحية، دون الإتيان بأى دليل على ذلك أو الاستناد على أية مصادر. ولكنا كما سبق أن أشرنا فى هذا الفصل وقلناه عنه نقوله عنه فى اللاحق.

فى الفصل السادس يتحدث د. بدوى عن "الصابئة فى القرآن".

ويقول: إنه من المسائل الصعبة التى تحتاج إلى علامة استفهام فى القرآن هو التعريف بالصابئة، وهو اسم ورد ثلاثة مرات فى سور القرآن:

١- فى سورة [البقرة: ٦٢]: **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن باللّه واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**.

٢- فى سورة [المائدة: ٦٩]: **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن باللّه واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**.

٣- فى سورة [الحج: ١٧]: **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن اللّه يفصل بينهم يوم القيامة إن اللّه على كل شئ شهيد﴾**.

ولنطالع الآن آراء مختلف المستشرقين الذين تصدوا لتفسير من هم الصابئون:

١- أ. سبرنجر يعتقد أنهم هم الحنيفيون، ويتفق معه فى نفس الرأى ج. بيدريسن Pedersen.، وفى رأينا أن هذا الرأى رأى كاذب لأن:

أ- الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل يؤكد أن الحنيفيين هم على نقيض الصابئين، وديانة كل منهما على مرحلة بعيدة من الأخرى ومعارضة لها، والأحناف هم أتباع ملة إبراهيم، والصابئون هم عبدة النجوم، وهى عبادة حرمتها ملة إبراهيم تمام التحريم (الأنعام: ٧٦-٧٨).

ب- لم يرد فى القرآن على الإطلاق أنه كان للصابئين كتاب مقدس، بينما كان عند إبراهيم "الصحف" **﴿إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾** [سورة الأعلى: ١٨-١٩].

٢- يؤكد هورفتز أن الصابئين مذهب أو مجموعة من المذاهب النصرانية.

هانز شيدر يؤكد نفس الرأى حين يقول: "إن النبى محمد استمع وهو فى مكة إلى أقوال بعض نصارى بابل- وهم الصابئون الذين ذكروا ثلاث مرات فى القرآن والذين ينحدر اسمهم من البابلية الأرمنية.

ويؤيد بيل R. Bell نفس الرأى.

يقول الدكتور بدوى إن فعل (صبأ) فى العربية معناه تحول عن دينه ليعتنق ديناً آخر فهو فى هذه الحالة (صابئ وجمعها (صابئون). ولقد جاء بهذا التفسير ابن اسحق فى تفسيره. وصبأ فى تاج العروس تحمل نفس المعنى.

وإذا أخذنا التفسير العربى لمعنى الكلمة، لنا أن نتساءل عن أى دين يخرج من يُعتبر صائباً هل عن اليهودية أو المسيحية ليدخل ديناً آخر؟

على العموم هذه المسألة تحتاج إلى بحث خارج نطاق الدفاع عن القرآن.

الفصل السابع جاء فى كتاب د. بدوى تحت عنوان:

"الرسل فى القرآن: على هوى أ. ج. فنسنك"

يقول د. بدوى ما نصه: "من بين آراء فنسنك الهوائية، وما أكثرها من آراء قوله التالى:

"إن فكرة إرسال الأنبياء كرسل كل إلى شعب مختلف، ربما تكون قد وصلت إلى محمد عبر قناة مسيحية، وسار فى ذلك على خط رواية التبشير المسيحى فى العالم. والاختلاف هنا يقع فى حقيقة أنه لا محمد ولا الأحاديث الإسلامية قد عرفت أى شئ عن الإثنى عشر رسولاً".

ولنا أن نتساءل قبل كل شئ فى تعقيبنا على هذا القول:

لماذا لا يحق لمحمد أن يعلن عن نفسه نبيًّا شأنه فى ذلك شأن الرسل الذين سبقوه وأرسلوا لشعوب مختلفة على غرار ما وقع للمسيحيين؟

وهل فكرة ظهور نبى جديد لم تكن قائمة عند اليهود قبل ظهور محمد؟ إذا أردنا التأكد من ذلك، وذلك مؤكد بالفعل لأننا نجد التالى:

أ- فى كتاب الملوك الأول ١٤، ٦: "لقد أرسلت لكى أكلمك بقساوة (٧) اذهب وقل لأورشليم: "هكذا قال مولى رب إسرائيل سوف أرفعك من وسط الشعب، وسوف أجعلك أميراً على شعب إسرائيل".

ب- فى عيسى ٦، ٣: "إنى أسمع حينئذ صوت مولى الرب الذى يقول: من سوف يرسلنى؛ من إذن سوف يذهب لنا؟ "وأقول: "أنا أرسل نفسى (٩) يقول: "اذهب أنت سوف تقول لهذا الشعب.."

والكلمة العبرية التى تقابل رسول اللّه هى كلمة: شالوه، وترجمتها فى اليونانية: رسل.

ومما يلاحظ أن كلمة رسل apostolos قد استخدمت فى كتاب العهد الجديد فى عدة استخدامات:

أ- فى إنجيل متى استخدمت بمعنى حواريين.

ب- فى انجيل لوقا استخدمت بمعنى رسل، والمهم أن نؤكد هنا أن محمداً لم يأخذ فكرة النبوة لا من اليهود ولا من النصارى.

والفرق بين الرسول والنبى فرق كبير؛ ذلك لأن الرسول (شالوه) بالعبرية و aposrolos فى اليونانية) فهى تعنى عند اليهود أن الرسول هو صاحب رسالة يكرس لها كل حياته، ويبشر بدين ويحمل كتاباً مقدساً، فهو بذلك فى وضع أكبر من وضع النبى؛ لأن النبى لا يلزم أن يكون معه كتاب مقدس.

ولذلك فى المصادر الإسلامية يفرق الكتَّاب بين النبى والرسول، فالرسول مرسل من قبل اللّه بدين، ومعه كتاب يحتوى على مكنون هذا الدين، بينما النبى ليس مبعوثاً بدين جديد وليس معه كتاب، فكلمة شالوه العبرية تعنى رسول لشعب معين أو لطائفة معينة، بينما رسول فى الإسلام تعنى مبعوثاً إلى أمة.

فالاثنى عشر حوارى الذين تتحدث عنهم الكنيسة المسيحية ليسوا مبعوثين من قبل اللّه، ولكنهم مبعوثون من قبل المسيح، وهذا هو الفرق بين الرسول فى المسيحية والرسول فى الإسلام، وهنالك فرق آخر فليس لأى من هؤلاء الحواريين الرسل كتاب مقدس، فهو يبشر بنفس الدين وبنفس رسالة المسيحة، بينما الرسول فى الإسلام مختلف تماماً عن الحواريين الرسل فى المسيحية، وهذا يفسر عدم إطلاق الإسلام اسم رسل نهائياً فى القرآن على

الحواريين، ولكن أطلق عليهم حواريو عيسى.

ولقد شرح نولدكه كلمة حوارى وقال: إن معناها: الزميل الحميم. الشديد الإخلاص، حتى أنه كان يطلق على الزبير بن العوام حوارى محمد، ولذلك أطلق على أصحاب محمد وأصحابه لقب الحواريين كذلك عرف الأنصار بالحواريين، ووردت بذلك فى القرآن: ﴿**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى اللّه قال الحواريون نحن أنصار اللّه آمنا باللّه واشهد بأنا مسلمون**﴾.

[سورة آل عمران: آية ٥٢].

أياً كان الأمر فخلاصة القول بصدد كلمة رسول فى القرآن نقول:

أ- وردت كلمة (رسول) ١٤٦ مرة، مختصة بمحمد.

ب- وردت كلمة (رسوله) ٨٤ مرة، وكلمة (رسولنا) ٤ مرات.

جـ- إن تصور الرسول فى الإسلام فى غاية الأهمية عنه فى اليهودية والمسيحية، وبناءً عليه، فإنه من غير المعقول عمل مقارنة فى هذا الموضوع بين المسيحية والإسلام، والأكثر لا معقولية وسخفاً أيضًا التلميح بأن الإسلام اقتبسه من كائن ما كان.

الفصل الثامن من الكتاب جعله د. بدوى تحت عنوان:

"قراءة لتصور هيلينى للقرآن".

لقد رأينا كيف أن المستشرقين (هرشفيلد، جولدزيهر، هوروفيتز، وتورى) قد قدموا قراءات يهودية بصدد القرآن، وكيف قدم الآخرون منهم: (موير، بيل، أهرينر، وغيرهم) تصورات مسيحية أو يهودية- مسيحية. ومن باب السخرية، نود أن نضيف فى هذا الفصل ما قيل عن التصورات الهيلنية للقرآن، التى تقول: لقد أورد القرآن أفكاراً كثيرة من الفكر اليونانى، وأهم ما ورد منه التالى:

أ- لقد افترض أرسطو تصور الفضيلة كحقيقة وسط بين حدين متباعدين. وفى القرآن، يقول اللّه عن أمة الإسلام: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾.

[سورة البقرة: آية ١٤٣].

هذا المنهج الوسط فى الإسلام يصبح دائماً ومستمراً أيضاً ومقرراً عند فقهاء المسلمين كسمة مميزة وجوهرية للإسلام. هذا المنهج يراقب دوماً تطبيق الحكم الوسط بين الخير والشر، والحق والباطل... إلخ.

إذن فالإسلام كمجتمع أو دين هو كما ورد عنه فى القرآن: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللّه**﴾. [سورة آل عمران: آية ١١٠]

ب- لقد ذكر الإسكندر الأكبر وعُظِّم فى القرآن فى ١٦ آية من سورة الكهف (الآيات: ٨٣ - ٩٨) وهو فى القرآن الملك العظيم وصاحب المملكة المثالية والعادلة.

جـ- لقد وردت أسطورة سسيف Sisyphe اليونانية فى القرآن، حقيقة أن سسيف فى الأوديسا عذب بأن أجبر على أن يدحرج على الدوام صخرة من أسفل جبل إلى قمتة لتسقط عليه ويكرر ذلك على الدوام.

فى القرآن نجد نفس الأمر يرد بالنسبة لأحد كبار المشركين، فى القول:

﴿**كلا إنه كان لآياتنا عنيداً، سأرهقه صعودا**﴾ [المدثر: ١٨-١٩].

د- فى القرآن نقرأ:

١- ﴿**واللّه خلق كل دابة من ماء**﴾ [النور: ٤٥].

٢- ﴿**وجعلنا من الماء كل شئ حى**﴾ [الأنبياء: ٣٠].

هذه الفكرة كانت عند طاليس (٦٤٠-٥٦٢ ق.م) الذى كان يؤكد على أن الماء هو أصل الكون.

هـ- القرآن يقول: ﴿**اللّه نور السموات والأرض... نور على نور**﴾. [النور: ٣٥].

فى الأفلاطونية الحديثة، يقول مؤسسها أفلوطين (٢٠٤- ٢٧٠م): إن النور هو الأصل الأول، فكل الكون انعكاس من هذا الأصل، إنه "نور يتبع نور".

هذه الافتراضات الهيلنية التى زعمها المستشرقون، افتراضات خاطئة ووقع أصحابها فى نفس الخطأ الذى وقع فيه سابقوهم من قبل، أمثال: هرشفيلد، وجولدزيهر، وهوروفيتز، والآخرون.

فى الفصل التاسع من الكتاب؛ تعرض د. بدوى لموضوع البسملة فى فاتحة الكتاب، هل هى ذات أصل مسيحى إنجيلى، وقد عالج د. بدوى نفس هذا الموضوع فى كتابه محمد، وثبت عدم صحة هذا الافتراض الذى قال به نولدكه.

وفى الفصل العاشر؛ يتحدث د. بدوى عن محاولة علماء المسلمين والمستشرقين وضع تأريخ زمنى محدد لآيات القرآن، فأورد أولاً محاولات علماء المسلمين من حيث تقييم آيات

القرآن وتحديدها، وبينا مكان تنزيلها فى مكة أو فى المدينة ثم محاولات المستشرقين نولدكه، وجريم، وفوير، وبلاشير وبيل، انتهى إلى فشل كل هذه المحاولات.

ولنا أن نقول فى هذا الموضوع: إن ما وصل إلينا اليوم من هذا الترتيب هو نفسه ما كان عليه القرآن فى عهد الرسول. ونحن نعتقد تماماً بأن القرآن قد جمع فى كتاب واحد فى حياة الرسول للأتى:

أ- لقد أشار الحديث النبوى والمفسرون للقرآن على أن الآيات المدنية كانت متداخلة مع السور المكية السابقة لها فى الوقوع. والحالة هذه، فإن ذلك يفترض أن مجموعة من السور قد ضمت سابقاً والتى أدمج فيها مؤخراً آيات متأخرة فى النزول بزمن طويل نزلت فى المدينة، تكمل أو تشرح الآراء الواردة فى السور السابقة زمنياً. وعلى سبيل المثال، فإن سورة الشعراء تحتوى فى آخرها على آية مدنية (الآية ٢٢٧) وقد نزلت فى المدينة لاستثناء الشعراء المسلمين الذين دافعوا عن النبى من ذم الشعراء عموماً، وهم الشعراء: حسان ابن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب ابن مالك.

وتبين الطبعة المصرية الرسمية للقرآن على رأس كل سورة من السور المدنية التى دخلت على السور المكية السابقة لها فى النزول. ولقد أعطانا الزركشى (فى كتابه البرهان) قائمة كاملة بصدد هذه الآيات.

ب- لقد توافق تجميع القرآن فى حياة النبى مع نسخة على الرَّق (الجلد).. ولقد كانت الكتابة على الرَّق معروفة وشائعة عند العرب قبل الإسلام، ولقد كتبت المعلقات السبع (أو العشر) على الجلد (أو على البردى) وعلقت على الكعبة، وهذا يثبت أن الرق (أو البردى) كان شائعاً استعماله فى الكتابة فى مكة والمدينة والجزيرة العربية عموماً.

وإذا ما اعترض شخص على ذلك وقال بأن زيداً بن ثابت قد قام بجمع القرآن من: قطع الورق، والأحجار، وسعف النخيل، وعظم أكتاف الجمال ومن عظام العضد، ومن قطع الجلد. أجيب عليه وأقول: إن تلك المواد كانت بمثابة الوثائق التى يستخدمها المرء فى تجميع الموضوع الذى يقوم بتجميعه دون أن يغفل منه شيئاً، وهذا تماماً مثلما نقوم به اليوم عند تجميع طبعة محررة. فإلى جانب المخطوطات الكاملة، يقوم المرء بعمل المقابلة لها مع المراجع والأوراق المبعثرة وغيرها.؟

وفيما يتصل بالتقسيم الثلاثي للفترة المكية (الابتداء والوسط والنهاية)، لم يكن فييل G. Weil ولا نولدكه هم أول من قالوا به، ولكن سبقهم في قول ذلك كتاب مسلمون قدامى، وفي الحقيقة فإن أول من أشار إلى ذلك "أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري"، في كتابه: (التنبيه على فضل علوم القرآن). ولقد قال في ذلك الخصوص ما نصه: "إن من أنبل علوم القرآن علم التنزيل وبيان الأماكن التي نزلت بها السور القرآنية، والترتيب الزمني لما نزل من السور في مكة ابتداءً ووسطًا ونهايةً". ولقد أورد الزركشي نفس هذا الترتيب في كتابه: (البرهان في علوم القرآن) ج١، ص ١٩٢، القاهرة ١٩٥٧ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

وترجع الأولوية في التقسيم الثلاثي لسور القرآن لأبي القاسم النيسابوري إذن، وليست لفييل أو لنولدكه، وقد تماثل معه الزركشي في نفس الترتيب، السور المكية الأولى وهي: اقرأ، ثم نون والقلم، ثم يا أيها المزمل، وعدد ٨٥ سورة مكة، ثم عدد ٢٩ سورة مدنية أولها سورة البقرة، وقد اتفق مع هذا الترتيب ما أورده عمر بن محمد بن عبد الكافي.

ويتضح لنا من هذه الملاحظات أنه لا فييل ولا نولدكه ومن تبعهم مِنْ بعدهم قد أتوا بجديد في مسألة التأريخ لسور القرآن، والفصل التاسع من كتاب الزركشي كافٍ تماماً بالنسبة لهذا الموضوع.

في الفصل الحادي عشر؛ يتحدث د. بدوي عن موضوع مسألة الكلمات غير العربية في القرآن، ويقول د. بدوي: إنه في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) قد أثيرت مسألة وجود بعض كلمات غير عربية في القرآن مرات عديدة، وقد انقسمت آراء علماء المسلمين بصدد هذا الأمر إلى فريقين: المنكرين، والمؤكدين.

أ- من بين المنكرين يجب أن نذكر الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م) مؤسس المذهب الشافعي، وأبي عبيدة (ت ٢١٠/٨٢٥م) عالم اللغة الكبير، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م)، المؤرخ والمفسر الكبير للقرآن، أبو بكر ابن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م) العالم الأشعري، أبو الحسين ابن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م) العالم اللغوي، ولقد استند هؤلاء في رأيهم على معنيين قرآنيين: ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾ [يوسف: ٢] و: ﴿**ولو**

جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد".
[فصلت: ٤٤].

وقالوا أيضاً: إذا لم يستطع العرب الحصول على معانى القرآن ببساطة، فهذا سوف يكون عسيرًا لهم بأن تظل لغة القرآن للعرب لغة لا يفهمونها.

ب- ومن بين الذين يؤيدون ويؤكدون وجود كلمات غير عربية فى القرآن يجب أن نذكر: عبد اللّه بن العباس (ت ٦٨هـ/٦٦٨م) وتلميذه عكرمة (ت١٠٥هـ/٧٢٣-٧٢٤م)، أبا موسى الأشعرى (ت٤٢هـ/٦٦٢م). وهم يؤكدون وجود كلمات غير عربية فى القرآن، ويقدمون لنا قائمة بهذه الكلمات.

والمنكرون لوجود كلمات غير عربية في القرآن يقولون: إن هذه الكلمات الموجودة فى هذه القائمة كلمات عربية فى الأصل، وأن نفس هذه الكلمات مستعملة فى الفارسية والحبشية (على سبيل المثال) بنفس قواعد اللغة للدلالة على شىء. ويقول ابن عطية (ت ٥٤٦هـ/١١٥١م) فى كتابه "شرح الطبرى": إن الأصل هو العربية، أما الفرع لهذه الكلمات فهو فى اللغات الأخرى. ويوافق على هذا الرأى أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م).

ويقول ابن عطية فى مقدمة كتابه: إن هذه الكلمات التى تبدو غير عربية قد نُقِلَتْ فى العربية قديماً أيام العرب العاربة بسبب الرحلات التجارية وغير التجارية خارج الجزيرة العربية، وعربت هذه الكلمات قبل الإسلام، وصارت جزءاً من مقدرات اللغة، واستعملها العرب وتداولوها فى كلامهم، فلما نزل القرآن كان من الضرورة أن يخاطب العرب بما كانوا يتحدثون به من لغة، ويستخدم حتى تلك الكلمات غير العربية التى عربوها واستعملوها، وصارت جزءاً من لغتهم، وبذلك صارت هذه الكلمات عربية فى معناها وفى أسلوبها.

وهذا تصور صحيح ومقبول تماماً.

ولقد أورد د. بدوى قوائم بالكلمات غير العربية الأصل التى أوردها كل من الزركشى (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م)، والسيوطى (ت٩١١هـ/١٥٠٥م).

الفصل الثانى عشر؛ جعله د. بدوى بعنوان: "حول التنصيصتين القرآنيتين لعبارة: "يا أخت هارون".

وقد بدأ هذا الفصل بإبراز دفاع المستشرق أوريان ريلان عن الإسلام، فيقول: على هامش دراستي حول الدين عند كَانْت (الجزء الرابع من بياني لطريقته ومنهجه) تعرضت لدراسة المصادر التى اغترف منها الفيلسوف كونيز برج Konigsberg فيما يتصل بالإسلام بالذات، والذى أشار إليه فى صفحات كثيرة من كتابه.

من أجل هذا فأنا أشيد هنا فى كتابى هذا بفضائل أدريان ريلان (المولود فى ريب Ryp بهولندة الشمالية سنة ١٦٧٦، والمتوفى فى أوتريخت سنة ١٧١٨) وخاصة فى مقدمة كتابه: (الديانة المحمدية De Religione Mohammadica) الطبعة الأولى ١٧٠٥ والطبعة الثانية ١٧١٧.

ولقد أثر فى كثيرًا هذا الكتاب بسبب إنصافه وفراسة كاتبه، وموقفه الشديد الموضوعية تجاه الإسلام ونبى الإسلام محمد، وقد جاء هذا الكتاب بعد هذا الكم الهائل المتلاحق مما كتبه المخربون الذين تعاقبوا منذ القرن ١٣ (وقبل ذلك) فى نهاية القرن ١٧.

وكما كتب أدريان ريلان فى رسالته التى أهداها لأخيه بيير ريلان (المحامى بأمستردام)، يدهشنا بتفنيده كل ما أنقص من قيمة الإسلام على يد أولئك المخربين المسيحيين الأوربيين: "إن هؤلاء الذين لم يعتنقوا الإسلام، سوف يكونوا أغبياء وحمقى لو نظروا للمسلمين بهذه النظرة، ولو لم يدرسوا التراث الذى خلفوه حول هذه العقيدة وما قدمه العرب وهذا الدين للشعوب الأخرى من حضارة زاهرة خلال القرن العاشر، حين لم يخلف المسيحيون وراءهم إلا الأسقام والانحطاط غربنا الأوربى"

بناء عليه، فإنه يحث الآن على دراسة العقيدة الإسلامية من خلال المصادر العربية مما يسمح برؤية الإسلام من واجهة تخالف تماماً لتلك التى كانت معتادة فى الغرب، قال ما نصه: "يجب أن أقر وأعترف بحسن نية، أنه بعد دراسة معقولة للدين الإسلامى: أني وجدت وجهاً غير الوجه الذى سبق أن عرفته عنه، الأمر الذى يعطينا الرغبة فى تعريف العالم بكل الألوان التى أغفلوها عنه".

من خلال هذه الروح، توصل ريلان إلى نتائج وأحكاماً عن الإسلام، تعتبر عادلة ألف مرة وأكثر اتزانا من أحكام أقرانه من الكُتّاب.

وإن مناقشة قول ريلان ومراجعته لهو خير قبل أن نفصل الكثير من هراء أقرانه من الكتاب.

وريلان بروتستنتى الديانة والاعتقاد، ولكن ليس بسبب أن البابوات يعتبرون البروتنست مسلمين يدافع ريلان عن الإسلام، وإنما الذى دفعه إلى ذلك البحث عن معرفة حقيقية عن هذا الدين، وقد أوضح هو ذلك بقوله: "من أجل البحث عن الحقيقة أينما توجد، فسوف يكون على الدوام إغلاق الباب فى وجه الأكاذيب من كل جانب تسلكه عملاً حميداً. وذلك بوضع ديانة مثل ديانة الإسلام الواسعة الانتشار، بوضوح أمام أعين العموم بعد إزاحة غيوم القدح والمثالب عنها"

وترجع المزاعم المتشابهة بين اللوثريين (البروتسنت) والمسلمين، كما أوردها فيفالدو Vivaldo فى ١١ وجه ناقشها د. بدوى وناقش رأى ريلان فيها.

كذلك ناقش د. بدوى ما فى كتاب ريلان من دراسة للعقيدة الإسلامية مع إيراد ترجمة لاتينية مقابلها مع حواشٍ تفسيرية.

وناقش د. بدوى رأى ريلان فى عبارة "يا أخت هارون" الواردة فى القرآن بصدد السيدة مريم العذراء، ويلخص ما أورده فى هذا الفصل بصدد هذا الموضوع بالتالى:

أ- يزعم البعض أن محمداً يؤكد فى القرآن أن مريم أم عيسى المسيح، كانت أخت هارون وموسى.

ب- صاحب هذا الادعاء هو يوحنا الدمشقى، وتبعه فيه من بعده نيقولا دى كيوز، وتور أندريه، وعدد كبير من الكتاب يستشهدون بما ورد فى القرآن بصدد هذا الأمر، مع أنهم لا يعترفون بالقرآن ككتاب مقدس.

جـ- إذن، يدعى ريلان، الافتراض بأن محمداً كان جاهلاً بالتاريخ لاعتباره زمن موسى هو زمن المسيح.

د- ويؤكد القرآن هذا القول فى سورة مريم بالقول: "يا أخت هارون".

و- إذا ما قلت لى: ولكن من هو هارون هذا إن لم يكن هو أخا موسى؟.

حينئذ أجيبك بأن هذا تساؤل المسيحين، وليس تساؤل محمد ولا تساؤلى؛ لأنه من المحتمل أن يكون لمريم أخاً اسمه هارون، وهو اسم لم يكن وارداً على لسان رجال الدين ولا على يد الكتاب العلمانيين، ولكن القرآن وحده هو الذى ذكره!.

ب- افتراض آخر يوضع فى الاحتمال وهو: أن لا يخفى على جماعة المسلمين الذين يعترضون بأن مريم أخت موسى كانت لها معجزات خلال عصر موسى حتى عصر المسيح لتصبح بذلك أماً.

جـ- هنالك افتراض ثالث ذكره د.هيربوت (فى المكتبة الشرقية، ص ٥٨٣) يقول فيه: إن مريم من عائلة عمران أبى موسى وهارون، وهى تنحدر من جانب أمها آن من أسرة هارون، وهى أسرة مقدسة؛ حيث إن الإنجيل يقول لإيزابيث، أم مريم: إنها تنحدر من نسل هارون، وهذا رأى بعض المفسرين للقرآن.

هـ- نفس هؤلاء المفسرين يقولون بأن عمران أبا مريم هو ابن ماتان، وبذلك يكون عمران أبو مريم أخت موسى، وعمران هذا هو الذى يطلق عليه المسيحيون اسم يواخيم زوج القديسة آن، وأبو مريم العذراء أم المسيح، وبذلك هناك اثنان باسم عمران: واحد منهم هو أبو مريم أخت موسى وهارون، والآخر أبو مريم أم المسيح.

و- يورد ريلان هذه الافتراضات الأربع ولا يؤكد أياً منهم.

ويعرض د. بدوى رأى مختلف المستشرقين فى هذه المسألة واختلافهم فيها، وينتهى برأيه فيها قائلاً: "نقول: إن هذه المسألة لم تشكل شبكة فى حياة النبى، لسبب بسيط وهو أنه لا النصارى ولا يهود المدينة رأوا فى إيراد هذه العبارة "يا أخت هارون" بهذا الشكل أية مشكلة، وقد فهموا أنها تعنى أنها من سلالة هارون، وهذه عادة العرب فى القول، ولم يكن يغيب على ذهن محمد أن هنالك بعداً زمنياً كبيراً ما بين موسى وعيسى، وكان هذا أمراً واضحاً فى المدينة فى ذلك الوقت.

ونضيف إلى ذلك القول: إن القرآن كان يستعمل هذه العبارة للدلالة" على الانتماء إلى قبيلة، فنجد فى سورة [هود: آية ٥٠]: ﴿**وإلى عاد أخاهم هوداً**﴾ فأخ هود هنا مثل أخت هارون تشير إلى القبيلة. والعرب تقول: أخا هوازن وأخا ثقيف وأخا العرب، وغير ذلك.

فأخت هارون هنا بالقطع تشير إلى أنها من سلالة هارون.

فى الفصل الأخير؛ من الكتاب (الفصل ١٣) يناقش د. بدوى مسألة هامان، ورأى المستشرقين فيها، ولقد أثبت أن هامان ورد ذكره فى القرآن ست مرات كوزير لفرعون، ومن أجل ذلك أكد المفسرون للقرآن أن هامان كان وزيراً لفرعون مصر الذى كان معاصراً للنبى موسى، والمسألة الوحيدة التى يجب معرفتها حقاً هى: هل أن هامان بنى بالفعل صرحاً لفرعون؟ وينكر معظم المفسرين والمؤرخين بناء مثل هذا الصرح.

ولم يتعرض أحد من المستشرقين المسيحيين للتعريف بشخصية هامان هذا، وقد تعرض له فى التاريخ الحديث المستشرق الألمانى نولدكه (يثودور) فى مقال له نشر فى دائرة المعارف البريطانية، وقد ذكر فى مقاله هذا أن هامان المذكور فى القرآن هو نفس هامان المذكور فى الإنجيل على أنه الوزير المحبوب لآشوروس ملك الفرس.

ولقد ثبت خطأ رأى نولدكه؛ لأن نولدكه خلط بين هامان وزير ملك فارس وهامان المذكور فى القرآن وهو وزير فرعون. ولقد أورد جود فروا دى موبيين رأياً مشابهاً لرأى نولدكه ثبت خطأه وكشف عن نقص فى وضوح الرؤية عنده.

ويقول د. بدوى رأيه فى هامان الوارد ذكره فى الست آيات القرآنية: إنه ربما لا يكون اسماً لشخص، بل هو لقب عام يطلق على كبير كهنة فرعون، ونحن نعرف من تاريخ مصر الفرعونية أن كبير كهنة آمون؛ ابتداءً من الأسرة ١٩ فى الدولة الحديثة كانت له مكانة هامة عند فرعون، وكان يستولى على كل أرض صعيد مصر ويقود الجيش ضد ملك كوش ووزير خزانة الأمبراطورية والمدير الأعلى لأبنية الآلهة، بمعنى أن وزير فرعون كان يدير الشئون الهامة والشئون المالية للدولة.

ونحن نفترض أن اسم هامان الوارد فى القرآن مطابق لاسم آمون، ومن السهل لآمون أن يطلق آمان، وهى وظيفة رئيس الكهنة التى نعرف بالقول الدارج على أنه وزير فرعون، وبذلك فإن كلمة هامان الواردة فى القرآن وتعنى وزير فرعون ليست بها أية مشكلة، وأن أى قول غير ذلك هو قول خاطئ ولا أساس له من الصحة.